STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

The Implicit Masculinity Model in the Novel "Cities of Salt" by Abd al-Rahman Munif (A study in the light of Cultural Criticism)

Tawfiq Rezapour Mohaiseni[1], *Hossein Mohtadi*[2]*, *Naser Zare*[3], *Seyed Haidar Fare Shirazi*[4]

Summer (2023), Vol. 4, No.9, pp. 57-78

Received: 3/5/2023 Accepted: 21/8/2023

Abstract

Implicit Model is a fundametal concept on which cultural criticism is baed; as it deals with the function of a model in texts and discourses and examines the textual subconscious, and dismantles the academic rhetorical language that is far from social problems and facts of the social life. This model may be present in songs, costumes, fables, and proverbs, as it is in poems, stories, novels, and other forms of art. Beneath all these elements of implicit masculinity model, is a cultural system perceived by the listener, viewer, or reader because of its hidden adaptation to an older model fixed in the mind.This research tries to monitor and analyze the pattern of implicit masculinity in the novel "Salt Cities" written by Abd al-Rahman Munif, relying on the analytical-descriptive approach and in the light of cultural criticism that investigates implicit cultural patterns. In the sub-topics, the representations of masculinity in the novel Cities of Salt are such as: Power, having a male child, the inferiority of women and the

[1] PhD student in Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr *Email: tofighalnassari@gmail.com*
[2] Coresponding Author: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr. *Email*: mohtadi@pgu.ac.ir
[3] Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, *Email: Bushehr nzare@pgu.ac.ir*
[4] Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr. *Email: shirazi@pgu.ac.ir*

© The Author(s).
Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY

PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

superiority of men, and egoism or inflation of the ego. This study reached a series of results, the most important ones of which are: Abd al-Rahman Munif consciously and unconsciously put the model of masculinity behind the aesthetic and literary model and tried to focus on the margin in addition to the centrality.

Keywords: Cultural Criticism, Implicit Masculinity Model, Abd al-Rahman Munif, The novel, Cities of Salt.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

فصلية دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٧٧٤٠-٢٦٧٦
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٠١٧٩-٢٧١٧

مقالة علمية محكمة

نسق الفحولة المضمر في رواية "مدن الملح" لعبدالرحمن منيف
(دراسة على ضوء النقد الثقافي)

توفيق رضاپورمحيسني[١]، حسين مهتدى[٢]*، ناصر زارع[٣]، سيد حيدر فرع شيرازي[٤]

تاريخ الوصول: ٢٠٢٣/٥/٣ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٨/٢١

الملخّص

يعد مفهوم النسق من المفاهيم الأساسية التي يرتكز عليها النقد الثقافي المتعامل مع ما هو مستهلك جماهيرياً، إذ يهتم هذا النقد بالوظيفة النسقية في النصوص والخطابات، ويستقصي اللاوعي النصي مقوّضاً اللغة البلاغية التي تتراوح بين تفكيك المشاكل الاجتماعية بلغة أكاديمية متعالية عن الواقع وبعيدة عن المشاركة في حلحلتها، وبين الانغلاق على الجمال البلاغي دون تجاوزه وإهمال أسئلة الفعل والتأثير. وهذا النسق قد يكون في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والقصص والروايات والألحان الشعبيّة المسجّعة وغيرها من الفنون. فكل هذه العناصر يتخفى بين ثناياها الجمالي البلاغي نسق ثقافي ثاوٍ في المضمر، وهو ليس في وعي الكاتب في الغالب، لا يدركه الناقد إلا باستخدام أدوات خاصة. ويعبر دائماً على نقيض المضمر البلاغي ومن خلاله سيبدو الحداثي رجعياً. حاولت هذه الدراسة، بالاعتماد على المنهج الوصفي – التحليلي وعلى ضوء النقد الثقافي الذي يبحث في الأنساق الثقافية المضمرة، رصد وتحليل نسق الفحولة المضمر في رواية "مدن الملح" للروائي عبدالرحمن منيف إذ تعد الرواية من أهم النصوص الناقلة للأنساق، وأيضاً تتناول بعض الأفكار والمفاهيم وطرح بعض التأمّلات. ولقد درسنا في المحاور الفرعية تمثلات نسق الفحولة في هذه الرواية التي أخذت صوراً عدّة مثل: القوة، وإنجاب الذكور، ودونية المرأة وفوقية الرجل، والأنوية أو تضخيم الأنا. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ أهمها: أنّ عبدالرحمن منيف بوعي منه حينا، وعلى غفلة أحياناً، جعل نسق الفحولة وراء النسق الجمالي والأدبي، لذا لا تحتفل روايته بالمركزي فحسب بل صار الهامش محط نظره كذلك.

الكلمات الدليلة: النقد الثقافي، نسق الفحولة، عبدالرحمن منيف، الرواية، مدن الملح.

[١] طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الألكتروني: tofighalnassari@gmail.com
[٢] الكاتب المسؤول، أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الألكتروني: mohtadi@pgu.ac.ir
[٣] أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الألكتروني: nzare@pgu.ac.ir
[٤] أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. البريد الألكتروني: shirazi@pgu.ac.ir

الناشر: © جامعة الخوارزمى والجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها.
حقوق التأليف والنشر© المؤلفون

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]
[DOI: 10.61186/san.4.57]

١. المقدمة

١. ١ إشكالية البحث

يعدّ النقد الثقافي أحد الاتجاهات النقدية الشديدة الأهمّيّة التي أفرزتها مرحلة ما بعد الحداثة في حقل النقد، حيث منحت هذه الدراسات مكانة للهامش والحاشية بعد ما كانت جل الاهتمام للمركز كما ظهرت مصطلحات نقدية كثيرة على غرار الذكورة، والأنوثة، وغيرها من المفاهيم الجديدة. يركّز النقد الثقافي على إنشاء بديل منهجي حديث وحداثي يعتني بالتحوّل من النقد الجمالي المحض إلى النقد المعيشي المهتم في الهم المجتمعي، وهي محاولة لربط الناقد في المجتمع مباشرة بعيداً عن اللغة البلاغية التي تتراوح بين تفكيك ذلك الهم بلغة أكاديمية متعالية عن الواقع وبعيداً عن المساهمة في حله، وبين الانغلاق على بنية النص دون تجاوزها، إنها نظرية معنية بإزاحة الستار عن القبح الثقافي المستتر وراء الجمال الفني. وهنا نلمس تغييراً أساسياً محدداً ومعيناً يتفاوت فيه النقد الأدبي عن النقد الثقافي، فالنقد الأدبي محاولة للكشف عن مكامن الجمال أو القبح في النصوص الأدبية مكتفياً بذاته من حيث اللغة أو الدلالة أو المجاز وما إلى ذلك. أما النقد الثقافي فينصب اهتمامه على إجلاء النسق الثقافي المضمر والإبانة عمّا يوارِيه ودراسته في سياقه الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي فهماً وتأويلاً، والتعرف على طرق هيمنته في تشكيل الذائقة.

إنَّ النسق المضمر نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية، على أساس أن كل ثقافة معينة تحمل في طياتها أنساقا مهيمنة، فالنسق الجمالي والبلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة؛ بعبارة أُخرى، ليس في الأدب وظيفة أدبية فقط، فهناك كذلك الوظيفة النسقية التي يعتني بها النقد الثقافي. والأنساق الثقافية تمردت على السلطة المركزية التي تسيطر على شئون الثقافة والأدب، فإلى جانب الخطاب الأدبي المباشر، نجد خطاباً أدبياً آخرَ موازياً يمكن كشفه ودراسته من خلال التأويل. يعتقد الغذامي بأنّ النقد الأدبي صقلنا على تذوّق الجمالي وصار مقصوراً على البحوث الأكاديمية، بعيداً عن الجماهيرية فأوقعنا في حالة من العمى الثقافي عن العيوب النسقية المختبئة تحت الجميل البلاغي وعليه أن يعلن موت هذا النقد الأدبي الذي هيمن على المشهد النقدي العربي وإحلال النقد الثقافي محلّه ويعتقد أن تجاوزه مرتبط بإدخال أدوات النقد الثقافي، والحفر في طبقات النصوص لكشف المضمرات النسقية المتوارية.

تنطلق هذه الدراسة بالاعتماد على المنهج الوصفي–التحليلي وعلى فكرة النسق الثقافي الذي يُعدّ بدوره أهم آلية من آليات النقد الثقافي لتتجاوز حد البحث عن العناصر الجمالية والفنيّة وتقوم بتحليل نسق الفحولة وتناوُل بعض الأفكار والمفاهيم وطرح بعض التأمّلات وهو مايعني أنَّ الدراسة تأخذ منهجياً أداة من أدوات النقد الثقافي، والانطلاق عبر مدخل منهجي إلى البحث في رواية "مدن الملح" لعبدالرحمن منيف وتسعى من خلال هذا البحث إلى تقصي نسق الفحولة المضمر في هذه الرواية، بغية بيان طبيعة العلاقة بين البنية النصيّة الفنيّة، والمضمون الفكري فيها.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

١. ٢ خلفية البحث

أمّا عن منجز عبدالرحمن منيف السردي فَقد كتبت بعض البحوث غير ذات صلة ببحثنا، منها بحث " الشرقي في المنظور الغربي (قراءة في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف)" لعائشة عبيد، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية: هذه الدراسة من خلال اتباع آلية التحليل أجابت عن الأسئلة التالية ": كيف صور منيف علاقة الغربي بالشرقي من خلال هذا العمل؟ وما هي نظرة الغربي للشرقي عموماً-حسب رأيه-؟ وكذلك مقال "الصراع الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف " لجنات زراد، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، العدد التاسع، عام ٢٠١٦م: وقد خلص هذا المقال إلى أن "منيف" يسعى إلى فهم واستيعاب عقلي ووجداني عميق للغرب وعالمهم، ولكن دون التملص من الانتماء إلى الشرق بإيجابياته وسلبياته، بل عبر فهم ضمني للصراع الحضاري بين الشرق والغرب دون أدنى شك بالنسبة إلى التفوق الحضاري الغربي. ومقال "دراسة نفسية لشخصيات رواية «أم النذور» لعبدالرحمن منيف"، نعيم عموري وآخرون، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد ١٢، العدد ٢: قد خلصت إلى أنّ رواية أم النذور رواية جريئة وذات خصائص، أولاها اللعبة التقنية في إدخال صوت الراوي وصوت الفتى بعضهما البعض، حتى بدا الصوتان وكأن أحدهما يكمّل الآخر. إضافة إلى اللغة السردية التي تتجلى هنا في أول تجلياتها وهي لغة تنساب انسياباً يحف بها الشعر حيناً وتغرق في النثرية والوصف حيناً. لكن الرواية لم تخل من التكرار الذي أثقل كاهلها.

أما عن رواية مدن الملح فكتبت بعض البحوث أهمها: «البناء الفنّي في خماسيّة "مدن الملح" الروائية لعبدالرحمن منيف، لمعصومه شبسترى واحمدرضا صاعدي: أبرزت النواحى الفنيّة مثل: الأسلوب، وبناء الشخصيات، واللغة، والبعدين المكاني والزماني. وبحث «دراسة الشخصيات القومية فى رواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف»، لروح الله صيادى نژاد وسعيدة حسن شاهي: درس هذا البحث الشخصيات المحورية، دلالة الأسماء، توظيف الرموز ووصف الشخصيات في الجزء الأول من الخماسية. وبحث «الواقعيه السحريه في خماسيه مدن الملح لعبدالرحمن منيف»، لرضا ناظميان ويسرا شادمان: درس هذا البحث عناصر الواقعيه السحرية وملامحها في "مدن الملح". ولم نجد في الميدان البحثي العربي أعمالاً وبحوثاً درست أعمال منيف من الجانب الذي نريد دراسته على حد علمنا، لقد كان خلوّ المجال من بحث متخصص، الحافز الأوّل لاختيار نسق الفحولة المضمر موضوعاً لهذه الدراسة.

١. ٣ أسئلة البحث

وهنا يمكن أن نطرح مجموعة من التساؤلات تتمثل في:

-كيف تجلى نسق الفحولة في خطاب الروائي عبدالرحمن منيف ؟

-كيف أسهم النقد الثقافي من خلال أدواته الإجرائية إلى الكشف عن نسق الفحولة الذي وظفه عبدالرحمن منيف، باعتباره حاملاً للثقافة؟

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

٢. المفاهيم والتعاريف

٢. ١ النقد الثقافي

النقد الثقافي ظاهرة أدبية رافقت مابعد الحداثة في مجال النقد. وقد جاءت هذه الظاهرة كردّة فعل على النظريتين البنيوية والشكلانية، والمعروف عن هاتين النظريتين الاعتناء بالظاهر والشكل والجماليات الفنية. إنّ مصطلح النقد الثقافي تبلور واقعياً مع الناقد الأمريكي "فنست.ب.ليتش (Vincent B. Leitch) " الذي أصدر كتابه "النقد الثقافي" سنة ١٩٩٢ م في هذا الشأن وهو «أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظريات الأدب لما بعد الحداثة واهتم بدراسة الخطابات في ضوء التاريخ والاجتماع والسياسة والمؤسساتية ومناهج النقد الأدبي، وتستند رؤية "ليتش" في التعامل مع النصوص الأدبية والخطابات بأنواعها من خلال أنساق ثقافية تستكشف ماهو غير مؤسساتي وغير جمالي، ورؤيته قد تُعنى بشعرية الخطابات بغية تحصيل الأنساق الثقافية استكشافاً ومن أجل تقويم أنظمتها التواصلية مضموناً وتأثيراً مرجعياً» (خليل، ٢٠١٢م: ١١). و«نظراً لاتساع مفهوم الثقافة وانفتاحه على كل شيء تقريباً، فانّ حقل الدراسات الثقافية/ النقد الثقافي، يؤدي وظيفته من خلال الاستعاره، من مختلف فروع المعرفة مثل: علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، علم النفس، اللغويات واللسانيات، النقد الأدبي، نظرية الفن، الفلسفة، العلوم السياسية، علوم الاتصال وغيرها. ذلك أن الدراسات الثقافية ليست نظاماً وإنما هي مصطلح تجميعي لمحاولات عقلية مستمرة ومختلفة، تنصب على مسائل عديدة، وتتألف من أوضاع سياسية وأطر نظرية مختلفة ومتعددة» (بعلي، ٢٠٠٨ م: ١٩).

يعرف الناقد العربي "عبدالله الغذامي" النقد الثقافي على أنّه: «فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وماهو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي» (الغذامي، ٢٠٠٥م: ٨٣)، وفي تبرير إهماله للنقد الأدبي يقول الغذامي: «لقد أدى النقد الأدبي دوراً مهماً في الوقوف على جماليات النصوص، وفي تدريبنا على تذوّق الجمالي وتقبّل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي" (نفس المصدر: ٧). ولعلّ أول من ردّ على الغذامي هو عبدالنبي اصطيف في الكتاب المشترك بينهما "نقد ثقافي أم نقد أدبي؟"، إذ قال: «إن لكل من "النقد الأدبي" و"النقد الثقافي" وظائف خاصة به، وقد يستعين أحدهما بأدوات الآخر التحليلية، أو باستبصاراته، ولكنه لا يفكر لحظة في التنحي وإفساح المجال له ليأخذ مكانه ويؤدي وظائفه الخاص به، لذا فليس فليس ثمة حاجة إلى خلق هذا التنافس الجذري بين هذين النشاطين المهمين، بل الحيويين، لتدبّر الإنتاج الأدبي والثقافي في المجتمعات الحديثة، الغربية والعربية على حد سواء» (الغذامي، ٢٠٠٤م: ١٧٨-١٧٩).

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

٢. ٢ مفهوم النسق بين اللغة والاصطلاح

لقد أصبح «الاهتمام بالنسق في الدراسات النقدية الحديثة ضرورة حتمية، ليكتسب قيمة كبيرة داخل البنية، ولضبط حدوده والوقوف على خصائصه، كان لزاماً المرور على المعنى اللغوي والاصطلاحي للنسق» (ضيف الله، وحسينة حماشي، ٢٠٢١: ٢١٢). يعرّف صاحب العين النسق قائلاً: «النَّسَقُ من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء. ونَسَقْتُهُ نَسَقاً ونَسَّقْتُهُ تَنْسِيقاً، ونقول انْتَسَقَتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت» (الفراهيدي، ١٤٠٩ق، ج٥: ٨١). ويقول صاحب جمهرة اللغة: «النَّسَق: نَسَقُ الشيء بعضه في إثر بعض؛ قام القوم نَسَقاً، وغرستُ النخلَ نَسَقاً، وكل شيء اتّبع بعضُه بعضاً فهو نَسَقٌ له» (ابن دريد، ج٢: ٨٥٣). وان المتتبع لهذه التعاريف اللغوية يجدها قد اتفقت على كون النسق هو النمط أو ما جاءَ على نِظامٍ واحدٍ، أو طريقة وأسلوب وشكل تتميز فيه الكائنات الحية والأشياء الموجودة في الكون. أما النسق من الناحية الاصطلاحية فيكتسب معان أوسع، فحسب رأي العالم الأمريكي "تالكوت سميث بارسونز" هو: «نظام كلي ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد بواسطتها علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم، التي تنبع من الركوز والمقررة ثقافياً في إطار هذا النسق، على نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي» (كويزيل، ١٩٩٣م:٤١١). ويحدد عبد الله الغذامي معناه بقوله: «يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضاً وناسخاً للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد، أو في ما هو في حكم النص الواحد. ويشترط في النص أن يكون جمالياً، وأن يكون جماهيرياً. ولسنا نقصد الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلاً» (الغذامي، ٢٠٠٥م: ٧٨). ونفهم مما اقتبسنا أن الدلالة المضمرة في النسق لا تصاغ من قبل الروائي أو الشاعر بل هي مرسخة في عمق الخطاب، ومسربة إلى العقل الجمعي والفكر الإنساني بوعي أو دون وعي تصنعها الثقافة وتظهر في النصوص المختلفة من الأمثال والشعر والقصص والروايات و... أو في التصرفات اليوميّة من أحاديث وتصرفات وسلوك.

٢. ٣ الفحولة

من خلال المراجعة إلى الأمهات من المعاجم العربية، نجد بأنّ مصطلح الفحولة قد ورد في جمهرة اللغة: «الفَحْل من الإبل وغيره: الذَّكَر المستفحل. واستفحل الأمر، إذا غَلُظَ. وفُحّال النخل: الذَّكَر منها، ولا يقال: فَحْل، والجمع فَحاحيل. وجمع فَحل فُحول وفُحولة. وفحول الرِّجال: ذوو النجدة منهم» (ابن دريد، ٥٥٤/١). وجاء في معجم مقاييس اللغة: «الفاء والحاء واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ذَكارةٍ وقُوَّة. من ذلك الفَحْلُ من كلِّ شيء، وهو الذَّكَرُ الباسل. يقال: أفحلتُه فحلًا، إذا أعطيتَه فحلًا يَضرِب فى إبله. وفَحَلْتُ إبلى، إذا أرسلتَ فيها فحلَها» (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج٤: ٤٧٨). إذَا تمعّنَا في التعريفات السابقة نلحظ أن معاني الفحل في اللغة تختص عند العرب بالذكر دون الأنثى من الإنسان، والحيوان،

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

وحتى النبات، كما اشتركت جلّ التعريفات في نفس الصفات من قوة، وغلبة، وكرم، وخصوبة، وعظمة ونبل وهذه الصفات الكريمة الّتي حملها الفحل أكسبته مكانة مرموقة داخل مجتمعه وبيئته، كما منحته التميز والانفراد. والرجل في النظريات السائده عند العرب إن لم يكن فحلاً فهو ناقص الخلقة، ولا يقف الأمر عند الخلقة والصفات البدنية وحسب، بل يمتد إلى الطبع والأخلاق والمزاج والحالة النفسية. وإذا دققنا النظر من خلال ما سبق إلى دلالات الفحولة نجدها تتفرق استعمالاً لتجتمع في مصب واحد هو التميز والتفرد بصفات لا تتأتى للجميع.

إن المتأمل في التراث النقدي عبر تاريخه الطويل يدرك حتما حقيقة هامة وهي أسبقية الأصمعي في التطرق لقضية الفحولة في كتابه "فحولة الشعراء" والتي لاقت صدى كبيراً بين النقاد؛ فهو المؤسس الأول لهذه الفكرة، وفي الحديث عن الامتياز الذي يحقق للشاعر الفحولة لدى الأصمعي، يقول أدونيس: «ماهو الامتياز، أو كيف يتجلى؟ ويجيب الأصمعي فيحدد هذا الامتياز فيما يلي: ا–الحظوة. ب–السبق. ج–الأخذ من قوله. د–اتباع مذهبه. وإذا عبرنا عن ذلك بلغتنا ومصطلحاتنا الحديثة قلنا إن الشاعر العظيم في نظر الأصمعي، هو الذي يبتكر ما لا سابق لمثله، ويؤثر في الذين يأتون بعده فيسيرون في الطريق الذي فتحها» (أدونيس، ١٩٨٦م: ج٢: ٤٤). ولكننا نجد ناقداً آخر قد أخذها ووسع لها وأعاد صياغتها وهو ابن سلّام الجمحي (١٤٠ هـ – ٢٣١ هـ) من خلال مصنفه "طبقات فحول الشعراء" حيث ذكر شعراء العرب الفحول في الجاهلية والإسلام ورتبهم على عشرة طبقات، منها عشرة طبقات لشعراء الجاهلية وعشرة طبقات لشعراء الإسلام، كما ذكر شعراء مكة والطائف والبحرين وشعراء اليهود أيضاً. وكل طبقة تمثل درجة من درجات الفحولة والتميز فالطبقة الأولى هي الفحولة الأعلى ثم دونها الطبقة الثانية ثم الأقل في الطبقة الثالثة وهكذا حتى آخر طبقة، وقد لقي رواجاً واسعاً باعتباره طليعة كتب النقد في الأدب العربي حيث يهدف من ورائه إلى تخليص الشعر العربي من الشوائب العالقة به وانتقاء فحول الشعراء وتمييز مراتبهم. كما أن الملفت للنظر هنا هو تفاوت الفحولة عند الجمحي وهو عكس ما ألفناه عند الأصمعي فهذا الأول يعد الفحولة مقياساً فنياً يعبر عن الجودة والمقدرة في قول الشعر وصناعته فهي الأساس الأول الذي اتخذه في قسمته للشعراء على هذا التمييز والتدريج.

لذلك اعتبر ابن سلام جميع الشعراء الذين ترجم لهم في كتابه، هم من الشعراء الذين حققوا درجة الفحولة، حيث قال: «فاقتصرنا على الفحول المشهورين» (ابن سلام، د.ت: ٢٩) وبذلك فهو يرى أنّ الشاعر الفحل «هو الشاعر الكبير الذي يتفنن في شعره ويجود فيه ويحسن القول» (مطلوب، ١٩٨٩م: ١٥٨/٢). وإذا تأملنا في المعنى اللغوي والاصطلاحي للفحولة نرى أنّها انتقلت من دلالتها اللغوية (الذكورة، القوة، والنبل، والعظمة، و...) إلى ميدان الشعر والشعراء.

٢. ٤ نسق الفحولة

يضرب مفهوم الفحولة بأطنابه في عمق الثقافة العربية، فالفحل هو الرجل الذي يتصدى للأمور العظيمة، ويتسلم زمام

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

الأمور، والفحل في منظور القبيلة – التي تنطلق من نسق فحولي – تؤمن بأن الفحل لا يؤلمه شيء، بل ويجب على الفحل في عرف القبيلة أن لا يخاف من المواجهة، وأن لا يتنازل عن حقه؛ فيتهم بالضعف، والجبن، وتنزع منه الفحولة. وكثيراً ما ارتبطت الفحولة بصفات مثل:التسلط، والهيمنة، والأنا، والطاغية، والسيطرة، والاستبداد... وغيرها. تقف الدراسة في تطرقها لموضوع الفحولة على أطروحة الغذّامي، كونه سجّل حضوراً كبيراً في كتابه "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية". يشير الغذامي إلى حدوث تحوّل في مرحلة ما من مراحل التحولات في العصر الجاهلي ونتج عنه أن الشعر تحول من كونه صوتاً للقبيلة، وحينما يتحول هذا الخطاب الذي هو خطاب الشخصية القومية للأمة، حينما يتحول من متحدث باسم الجماعة الى متحدث باسم الفرد، فإن ذلك يعني أن الخطاب الثقافي كله صار خطاباً ذاتياً وفردياً، ولقد خلق هذا التحول مع نشوء فن المديح طبقة ثقافية تتحلى بتلك السمات وهذه الطبقة أخذت بالتشكل منذ ذلك الزمن، وعبرها جرى ثقافياً اختراع الفحل الذي ابتدأ فحلاً شعرياً غير أنه تحول ليكون فحلاً ثقافياً يتكرر في كافة الخطابات والسلوكيات الاجتماعية والثقافية والسياسية وما ذلك إلا لأن الشعر في الأصل هو علم العرب وديوانهم ومايحدث فيه يصبغ شخصية الانسان العربي ويؤثر في تكوينها وتوجيه سلوكياتها (الغذامي، ٢٠٠٥م: ١١٨).

٣. القسم التحليلي

يعكس نسق الفحولة السلطة الكبيرة والقساوة المحمَّلة على المرأة سواء أكانت أماً أم بنتاً أم زوجة، لنجد السلطة الذكورية كنسق أسري مهيمنة على الأسرة والمجتمع. وهذه السيطرة مرتبطة بالمجتمعات التقليدية ذات الطبيعة القبليّة والعشائرية. هذه السلطة الذكورية تبرز كنسق مضمر في السلوكيات والتصرفات والتعاملات. سنتابع هذا النسق من خلال تمثلاته في رواية مدن الملح لعبدالرحمن منيف من خلال خمسة محاور هي إنجاب الذكور، والخوف من العار، والتحكم والتملّك، والدين، وإقصاء الإناث:

٣. ١ إنجاب الذكور

يُعتَبر الإنجاب في منظومة الزواج العربية التقليدية محدّداً لمصير العلاقة بين الرجل والمرأة، لأنّ التكاثر وامتداد النسل يعتبران أهمّ من الحبّ، والمال، والحسب، والنسب ويستمر النسل عبر المولود الذكر لا الأنثى، فابنة الرجل إذا تزوجَّت وأنجبَت، فهي تنجب لنسل زوجها لا لنسل أبيها، ويترجم المثل العربي العامي الشهير هذا الموضوع: ‘‘ابن ابنك إلك (لك) ابن بنتك لا» (تاتي، ١٩٠٠م: ٥٩١) أي أحفادك من أبنائك الذكور هم أبناء لك أما أحفادك من بناتك الإناث فهم أبناء لأهلهم وليس لك سواء أكانوا ذكوراً أو إناثاً، إذا الإنجاب وحده لا يكفي. فجنس المولود، ذكراً كان أم أنثى، مؤثّرٌ جدًّا في استمرار الزواج أو تعثره وحتى انهياره. يكتب منيف:

«لكن لما رأى ابنه فواز راكضاً نحوه، وقد امتلأ وجهه بالفرح، فقد أدرك أن زوجته، وضعت، وقد جاء ولد ذكر، فظل

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

نصف معلق على النخلة ينتظر وصول فواز ويتوقع أن يسمع البشارة» (منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ٢٠).

في المجتمع القبلي البدوي قد ينظر إليك بشيء من الشّفقة الخفيّة لمجرّد أنّك لم تنجب غير البنات، يسألك: ماذا أنجبت زوجتك؟، تقول له: بنت، فيحرّك شفتيه ويهزّ كتفيه في نوع من المواساة ويقول لك: "ابو البنات مرزوق"، أي من رزقه الله بالإناث رزقه ما ينفق به عليهن وهو يضرب لتطييب خاطر من أنجب عدة بنات في مجتمع يفضل الذكور على الإناث فلا علاقة للرزق بالإناث فيشعر المئناث بنقص كبير يقارب الشّعور بالحرمان أو حتّى بالمهانة، والهذال هنا ينتظر المولود الذكر لا الأنثى لعدة أسباب منها: استمرار النسل، والشرف، والفقر.

ويكتب منيف:

«ولم يتردد، مثلما حصل في المرات السابقة، في تسمية الغلام، وكأنه هيأ نفسه لذلك منذ وقت طويل. فما كادت قدماه تلمسان الأرض، وينظر بإمعان لعيني الصبي، وقد امتلأ وجهه بالفرح والغبار وحبات العرق، حتى سأله بطريقة تقريرية صلبة:

-قلت، يا وليدي أن "مقبل" جاء؟» (نفس المصدر).

ماتزال قضية تفضيل إنجاب الذكر على الأنثى التي كانت مسيطرة على أفكار المجتمع قديماً مستمرة عملياً، فلا يزال الكثيرون يفضلون إنجاب الذكر، فالذكر وحده هو الذي يحمل اسم العائلة، ويزيد من عزوتها ونفوذها، إضافة إلى أنه القوة الإنتاجية للأسرة، وهناك من يعتقد أن الابن الذكر لأنه سيد بيته؛ لأنّه يرعى ويعتني بالوالدين عند كبرهما. إن متعب الهذال قد اختار اسماً مذكراً قبل أن يعرف جنس المولود، فـ"مقبل" اسم علم مذكر بدوي، وصرفياً هو اسم فاعل من الفعل أقبلَ. معناه: القادم أو بالأحرى الذكر القادم الذي كان ينتظره متعب الهذال. والكثير من الشبان يختارون اسماً مذكراً لابنائهم قبل أن يتزوجوا وأحيانا ينادونهم بها ككنية مثلاً ابو فلان ولا أحد يختار اسماً مؤنثاً وهذا إن دل على شيء فيدل على تفضيل المواليد الذكور على الإناث ومن النادر أن تجد فى التراث العربي من كانت كنيته أبو فلانه.

ويكتب منيف:

«أما حين دخل البيت في هذا الوقت المتأخر فقد كان مصمماً على أن يخرج العصمليّة وأن يطلق بضع رصاصات. خطرت له الفكرة بسرعة، مثل التماع برق. إنه يفعل ذلك بعد مجيء كل ولد. المرة الأولى حين جاءه ثويني. ثويني كان ولده الأول، الذي مات منذ وقت طويل. أخرج العصملية تلك الليلة أمام الرجال، وفي جو من الفرح والانفعال أطلق مشطاً كاملاً، وقد شاركه الذين يحملون مسدساتهم»(منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ٢١).

تخضع المرأة للاضطهاد الذكوري منذ ولادتها، وتكبر وهي تسمع أحاديث وقصص تفضيل المولود الذكر على الأنثى، من خيبة الأب بالمولودة الأنثى، إلى الاستمرار في إنجاب الإناث حتّى الحصول أخيراً على مولود ذكر والتوقف عن الإنجاب، أو الزواج على المرأة المئناث التي لا تنجب إلا البنات، هذا إن لم تُطلّق، وغيرها من القصص والمظاهر المتعلقة بتفضيل المولود الذكر على الأنثى تُسمع كل يوم في المجتمعات. ونشاهد هذا التمييز في تصرّف الهذّال حيث من عادته

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

اطلاق النار تعبيراً للفرح بمجيء المواليد الذكور دون الإناث. ولم يأتِ هذا التفضيل في جانب منه نتيجة للنية المبيتة للتمييز ضد الأنثى، بل نتيجة لخليط من اضطهاد ذكوري مجتمعي منعكس في التقاليد والعرف، فالذكور هم الذين يحمون "الشرف"، الذي يتعرض لتهديد دائم من قبل الإناث.

ويكتب:

«في ذلك اليوم البعيد، الذي يشبه آلاف الأيام قبله، ولد لمتعب الهذال آخر أولاده الذكور. حدث ذلك أواخر الربيع، عند العصر. كانت الحرارة قد اشتدت ذلك اليوم والأيام التي سبقته، وثمار النخيل برعمت وتكورت، وكان على متعب الهذال ان ينتهي بسرعة من وضع العصي تحت عتوق "أم الخشب" ويربطها بقوة لكي ينصرف إلى بيته في الظهرة، وليعرف وليطمئن ماذا حصل، كما يجب ان يعد القهوة مبكراً » (منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ٢٠).

كان متعب الهذال كله أمل بأن يرزق بمولود ذكر، وكان قد سماه قبل ميلاده بـ "مقبل"، وهو هنا على نار لمعرفة المولود، كما يجب أن يعد القهوة احتفالاً بهذا المولود واستقبالاً له، يأتي هذا بينما لا يزال إنجاب البنات يعتبر مدعاةً للتجهّم لدى بعض الآباء، وهذا مستمر منذ فترة ما قبل الإسلام، حيث اعتبرت الذهنية العربية الأنثى عبئاً ماديّاً ومعنويّاً يُثقل كاهل أبيها. وقد صوّر القرآن الكريم استقبال المولودة الأنثى في الجاهلية في الآية ٥٨ من سورة النحل: "وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ".

٣. ٢ القوة

القوة الخاصية الأهم للفحولة. واختلطت الفحولة مع قوة الذكورة، ففي مجال الشعر أيضاً تطلق كلمة فحل على الذكور فقط، وتنفي الأنوثة من الفحولة «ليس من المستساغ أن يقال مثلاً: شاعرة فحلة، وإن كانت هذه الصفة تصح في المؤنث المجازي... ومحاذير استعمال صفة فحلة للشواعر كمحاذير تأنيث كلمة رجل ووصف الأنثى بها، فذلك الوصف مما يعد ذماً للمرأة، لأنّ معناه: المشتبه بالرّجال في الزي والهيئة» (الجوزو، ٢٠٠٢ م:١٨)، إذ أنه ليس من الأصح أن تتشبه الأنثى بالذكر، وليس من الأصح أن يقال عن الأنثى شاعرة فحلة.

يكتب منيف:

«وخفض صوته كثيراً، حتّى أصبح همساً:

-لازم يسرح بالغنم أو يلعّب الأطفال... متعب الهذال» (منيف، ٢٠٠٥م: ج١/: ٥٣).

الفحولة ملازمة للقوة، فالذي يصيد الأسود غير الذي يصيد الأرانب لهذا ظهر لدى العرب لقب صياد الأسود لحمزة بن عبدالمطلب، والصقر الذي يصطاد الطيور بمخالبه الحادة غير العصافير التي تقتات العشب والحشرات الضعيفة فهو محبب لدى العرب وهكذا يميل العربي للقوة والشدة وينبذ الضعف والركه. وهنا عبارة " يلعّب الأطفال" تعتبر إهانة بالنسبة إلى متعب الهذال لهذا قالها بصوت منخفض، فالفحل الذي ينبغي أن يتصف بالقوة والصلابة النفسية لا يلعب مع الأطفال

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

ولا يصلح لها أساساً وهى مهمة النساء حيث أن جميع المهام التى تخدم الطفل مثل اللعب والغسل والرضع واللبس والتقميط والتلهية مناطة للمرأة ويترفع الفحل عن التقرب اليها وتعتبر من مفسدات الفحولة. وهكذا وضعت الأيدولوجيا احتياطها للفصل بين الذكور والإناث ومنع أي محاولة ثقافية للمساواة بينهما، فالفحولة –بكل معانيها الإيجابية– تخص الذكور، وما من سبيل إلى أن تخص الإناث بهذه المعاني الإيجابية.

ويكتب:

«قال أحد العمال، وكانوا يسمونه الجرادة، لصغر حجمه

–الأمريكان ما لهم صاحب، مثل الذيب والغنم.

رد عليه آخر وهو يضحك بصوت عالٍ:

لا.. ماهم مثل الذيب والغنم، وانت الصادق... مثل الزاد والجراد

لا..مثل الذيب والغنم. الجراد ياكل إلى حين يشبع، وخويك الذيب، يقتل ويجدع

هكذا رد عليه الأول بعصبية» (منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ٣٩٩).

إن الرابط بين الفحولة المعنوية والفحولة الجسمية وثيق. فمن صفات الفحل هي عرض الأكتاف وخشونة الشعر والقوة والصلابة. وجاء وصفه بالجراده لآنه لا يتمتع بكامل صفاة الفحل.

ويكتب:

«قال ابنه دحيم:

– والله، يا يوبه، ولا أكثر من الأسباب !

– لكن، يا وليدي، أولاد خريبط ذياب، وشموا ريحة دم. والذيب اذا شم الدم يقتل نفسه إذا ما لقي أحد يقتله»(منيف، ٢٠٠٥م: ج٥: ٤٣٣).

كان العرب قديماً يعيشون في ظروف قاسية جراء طبيعة الصحراء والحروب المختلفة والمتعددة آنذاك؛ لذا فقد كانت أشهر مبادئهم الفروسية والقوة الجسدية ومن باب التشبيه الفخري فقد كانو يسمون شجعانهم بالذئاب كنايةً عن قوتها وبأسها الشديد. ومن الصفات التي ذكر بها الذئب الشجاعة المبالغ فيها والقوة الشديدة والسرعة، بالإضافة للحمية فهو لا يقبل على محارمه مثل باقي الحيوانات وقد كانوا يشبهون عزيز النفس بالذئب لأن الذئب لا يأكل الجيف بل يأكل من صيده حتى أنه يختار أقوى أفراد القطيع ليصطاده ولا يكتفي بذلك بل إنه يقتل ما يستطيع قتله من باقي القطيع دون أن يأكل منه شيئاً وهذا مما يقال عن الذئب بحبه لسفك الدماء وهذا دليل شراسته وقوة فتكه أيضاً. ووصف أولاد خريبط بالذئاب في المقبوس يدل على بطشهم وقوتهم وشراستهم وهي من الصفات المحمودة عند العرب فهم يوصفون شجعانهم بالذئاب وجبنائهم بالأغنام على الرغم من بطش الذئاب بأغنامهم وتكبيدهم الخسائر.

ويكتب:

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

«قال هؤلاء الرجال أشياء كثيرة شديدة الحزن. قالوا إنهم لأول مرة في حياتهم يشهدون رجلاً مثل متعب الهزال يبكي. كانت دموعه تتساقط بغزارة، لكن بصمت أيضاً. كان صامتاً تماماً. لم يفه بكلمة واحدة. لم يشتم. لم تخرج من حنجرته اية آه أو نأمة، فقط كانت دموعه تنهمر، ولم يكن خجولاً أو خائفاً، ولم يكن فخوراً ايضاً» (منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ١١١).

البكاء ردة فعل طبيعية لا إرادية يمكن أن يعيشها المرء في أي وقت كان، إما بسبب الفرح أو الحزن، ولكن في المجتمعات الشرقية يعتبر بكاء الرجل شيئاً مشيناً أو دليلاً على الضعف، وكلما تقدم في السن، ينظر إلى الدموع على أنها علامة تدل على الضعف لديه. الرجل في المجتمعات العربية هو رمز القوة، أما المرأة فهي الجانب الحنون واللّين في المعادلة، ولكي لا يختل توازُن المعادلة فإن على الطرفين القيام بواجباتهما على أكمل وجه حتى في المشاعر وكيفية التعبير عنها؛ فالمطلوب من الرجل أن يبقى مثالاً صلباً لا ينحني حتى ولو مرت عليه أصعب الظروف. والرجل قد تجيش عاطفته، ويسيل دمعاً من عينيه، ثم يمسح الدمعة، وينسى العاطفة، ويحكم العرف السائد في المجتمع إلا أن الحقيقة تكمن في أن حبس الدموع ربما يعرض الإنسان مهما اختلف جنسه للخطر، فقد يصاب بأزمات القلب لكن أنّ شيئاً في داخله سيكون أشد ألماً وقسوةً من دموع العين إنها دموع القلب، فليس البكاء ضعفاً كما يدعي الكثيرون، بل تعبيرٌ عن مشاعر الحزن الشديد والأسى. وفي النص لم يكن متعب الهذال خجولاً من البكاء لشدة حزنه الذي تغلب على العقل المملوء بالأعراف الاجتماعية.

٣. ٣ الأنوية أو تضخيم الأنا

الأنوية هي صفة تجعل الفرد منكباً على عالمه الخاص الداخلي. ويعتبر من يتمتعون بهذه الصفة أنفسهم واهتماماتهم هي الأكثر أهمية أو إقناعاً. ويُنظر إلى المعلومات ذات الصلة بالنفس على أنها أكثر أهمية في عملية تشكيل أحكام الإنسان على الآخرين مقارنة بالأفكار والمعلومات الأخرى ذات الصلة. لا يستطيع الأفراد الأنويين التعايش مع الواقع الذي يشير إلى أن الحقيقة قد تكون مختلفة عن الأمور التي هم على استعداد لتقبلها. وهذا النّفَس من الاعتداد بالذّات يلمحه المرء بصورة جليّة عند السلطان:

«وضحك ضحكة صغيرة مشوبة بالذكرى وأكمل:

وأنا ادري منك يا محمد، والمثل يقول أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة، فاريدك ان تكون معي في موران، وما راح تكون الا راضي ومروق أربع وعشرين قيراط !» (منيف، ٢٠٠٥م: ج٢: ٢١١).

تضخّمت ذات السلطان بسبب السلطة فغدت نرجسيّته واضحة، يركز العالم من حول نفسه ولا يرى إلا من خلال طرف أنفه، وانطلاقاً من قناعة شخصيّة أنّه هو الأكثر دراية من محمد، تعدّى الأمر التّفاخر بالذّات حدّ الاحتقار وهذا الاعتداد بالذات نابع من أنّه متفرّد، متميّز، ومختلف، كما أنه لم يظهر تفوقه على محمد امتثالاً للمثل بل ضرب المثل دعماً

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

لرأيه، ولكن أن العلم لا يأتي بالضرورة مع التقدم في العمر وأن كبار السن ليسوا بالضرورة أكثر علماً من الشباب رغم أن الخبرة الحياتية لدى كبار السن تساعدهم على حل المشكلات الاجتماعية بشكل أفضل من الشباب.

يكتب:

«لذلك حين طلب متعب الهذال من ابنه الذهاب بمفرده، شعر فواز بالزهو والتحدي، أما حين أشارت أمه إلى أخيه إبراهيم، والذي يصغره بسنة، أن يذهب معه، فقد رفض فواز بإصرار، قال بما يشبه التحدي:

–وحدي، ما أريد أحداً، وأرجع قبل الجميع.

ذهب فواز بمفرده، لكنه لم يرجع مبكراً كما وعد. رجع متأخراً، متأخراً جداً! وحين يتذكر اليوم الأول الذي ذهب فيه بمفرده للسقاية، وأنه عاد متأخراً، يتذكر أن هذا لم يحدث نتيجة عدم القدرة، وإنما نتيجة سبب آخر، أكثر أهمية، وهو الذي أخّره.. وهذا السبب نفسه هو الذي منعه من السفر.. بعد ذلك» (منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ٣١).

إنّ الرجولة والفحولة لدى البدو تتمثل في القوة الجسمية والخصوبة الجنسية، وقد لا يحظى الرجل الرزين الحكيم الذي لا يتمتع بالقوة الجسميّة والذرية (خاصة الأولاد) قد لا يتمتع بالاهتمام ولا يكسب مشروعية للقيام بالأفعال وقد يراه الآخرون ضعيفاً مخنثاً لا يعتد به ولا يعتمد عليه في المواقف الصعبة، وفواز ليثبت قوته من أجل سماح والده له بالذهاب إلى السفر يتبنى عملاً شاقاً جداً خارجاً عن إطار قوته الجسميّة ويرفض مجيء شقيقه معه خشية أن يقال بأنه أتمّ السقاية بنجاح بفضل مساعدة شقيقه وهذا يمثل عيبا بالنسبة له، وعبارة " وحدي، ما أريد أحداً" تشي برغبة دفينة لديه في التغلب على الواقع وتذليله وجاءت ما الرافضة ليزيد من التشبث بالذات وتضخيم الأناء في مواجهته. يريد أن يحقق قوته ورجولته بالكامل دون ذرة نقص، أما والده متعب الهذال الذي فهو نموذج للإنسان البدوي الّذي يرى الانفصال عن القبيلة والاعتماد على الذات في البلاد البعيدة والقريبة تتطلب قوة جسم لا قوة ذهن، إنه يحكم على شيء دون تجربة، فشل فواز بن متعب من إتمام هذا العمل بالشكل المطلوب ومنعه من السفر، إن هذا العمل الناقص يمثل نقصاً في قوة فواز من وجهة نظر والده.

ويكتب:

قال شداد المطوع لابن البخيت:

– اسمع مني يا عبد الله: خلنا نشد رحالنا ونشوف لنا ديرة ثانية، لان خبزتنا بهذي الديرة انقطعت. وما هو بس كذا، خاف باكر أو اللي عقبه يبهدلون شيبتنا، مثل ما صار مع كثيرين.

رد عبد الله وهو يبتسم:

– خلنا، هالحين، من هذي السوالف ؛ أريد أسألك شلون انتهت سالفة الأكحل ؟

– هذول، يا عبد الله، ما يفهمون الا بالصوت العالي، وبالعين الحمرا...» (منيف، ٢٠٠٥م:٥ ج٥: ٣٥٠).

كناية "ما يجي الا بالعين الحمرا" تضرب للتعبير عن استخدام القوة والزور لحل المشكلة وعدم اللجوء للحوار

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

والسياسة، وقيل الحمراء للإخافة والترهيب لأن الكائنات المخيفة تشتهر بالعيون الحمر أو المشتعلة ناراً أو الإنسان عندما يغضب تحمر عيونه.

٣. ٤ دونية المرأة وفوقية الرجل

لقد عانت المرأة في المجتمع العربي من التهميش والتحقير من قبل الرجل فلا يسمع لها رأي لا في داخل العائلة ولاخارجها مما تسبب في انعزالها وانطوائها وابتعادها عن المسرح الاجتماعي. وهذا التهميش نتيجة عادات وتقاليد وأعراف تراكمت بمرور الزمن لتتحول إلى ثوابت اجتماعية غير قابلة للتغيير. كما أن الفهم الخاطئ لتعاليم الدين قد أدى إلى أن تعيش المرأة في الهامش دون عمل اجتماعي، وفاعلية حقيقية، وهو ما كرس حالة الفقر والجهل والتخلف. ويتجلّى ذلك في المقطع السردي الآتي في قوله:

«قالت سارة من الداخل، وكأنها تنصت للحديث:

-ولّم قهوتك يا أبو ثويني.. ترى رجال وادي العيون يصلونك هالحين نوبة ثانية.

- القهوة حاضرة يا سارة.. ويا مرحبا بهم..» (منيف، ٢٠٠٥م، ج١: ٢٣)

القهوة تعتبر رمز من رموز الضيافة العربية وبعد ما تحولت إلى قيمة اجتماعية أصحبت رمز الرجولة بالنسبة إلى المضيف تدل على الكرم والشهامة والمرجلة. والقارئ لهذه السطور للوهلة الأولى سيظن أن أبا ثويني يساعد زوجته فى إعداد القهوة ولكن المدقق في الثقافة العربيّة يعرف جيداً أن القهوة كانت شراباً خاصاً بالرجال، فكانت القهوة وأدوات إعدادها من دلال وفناجين وبن وهيل وغيره، تحفظ في مكان خاص في مجلس الرجال. وإمعاناً في إقصاء النساء عن القهوة كان إعدادها موكولاً للرجال، فحين يستقبل رب البيت ضيوفه يقوم هو بنفسه بإعداد القهوة لهم.

ويكتب منيف:

«فقد حاول أن يعيد جو المرح، فرقص وطلب من بعض المسنين أن يرقصوا، وأطلق ناراً غزيرة، وشاركه عدد في اطلاق الرصاص. وغنى عدد من الرجال، كما اقتربت النسوة كثيراً من مواقع الرقص والرجال، وتضاحكن بصوت مسموع» (منيف، ٢٠٠٥م: ج١: ٣٩٦).

معروف عن المجتمع العربي، في مرحلته التقليدية، بأنه محافظ، وتقاليده تمنع اختلاط الرجال بالنساء إلا في حدود ضيقة. يرى المجتمع التقليدي الاختلاط محاولة تهدد الشرف الذي يرتبط بذاكرة المجتمع التقليدي بعرف الثأر الذي يعدّ هو الآخر مظهراً من من مظاهر نسق الفحولة المضمر يختبئ بلباس الغيرة. على الصعيد الحكائي يمثل هذا المقطع سلطة الفحولة المتمثلة في أفعال منظمي الاحتفال، يعكس منيف صورة تهميش المرأة وحصر دورها في الإنجاب والأعمال المنزلية فهي محرومة حتّى من المشاركة في هذه الفرحة الصغيرة الرجالية في القرية.

ويكتب الروائي في نفس المجال:

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

«ولما بعث إليه بأوراق عليها خاتم القصر وتوقيعه، قال ساخراً لعبد الله البخيت:

– سبحان الله، يا عبد الله: أولاد الملوك يصيرون ملوك قبل آبائهم ؛ مستعجلين والأرض ما تحملهم !

وحين ظهر التساؤل، وعدم الفهم، على وجه ابن البخيت، أضاف موضحاً بسخرية:

– ابن فضة صار وتصور! يظن أن ختم القصر، وتوقيعه، اللي طوله طول حية، مثل عصاة موسى، يسوي كل شيء، لكن يخسا» (منيف، ٢٠٠٥م: ج٥: ١٣٦).

يظهر نسق الفحولة هنا مهيمناً بسطوته الضاربة، وهي هيمنة انغرست في أعماق الوجدان الثقافي العربي؛ رغم وصولنا إلى القرن الحادي والعشرين ومع التداعيات المستمرة بشأن المطالبات بتحرير المرأة والكف عن قمعها وتقييد حريتها، إلا أن العالم العربي والاسلامي يعاني من بعض الأفكار التي لا تناسب روح العصر، فالكثير يعتبر أن اسم المرأة من الأمور التي تتصف بالخصوصية الشديدة لا يمكن البوح بها لأحد، بل مجرد السؤال عن اسم الزوجة أو المرأة يعتبره البعض وقاحة، ويأتي هذا التحرج لوجهة نظر في مخيلة الرجال وحدهم تتلخص فى أن اسم "المرأة" أمام الأصدقاء والغرباء ينال من كرامته كرجل وعدم ذكر اسمها هو غيرة ومروءة من الرجل على المرأة، وعندما يذكرون أحداً باسم أمه بدلاً من أبيه فانهم يريدون تحقيره وتصغيره والاستهزاء به، وهذه الفكرة تنبع من المنظومة القبليّة المتحكمة في جميع مفاصل حياة المواطنين والتي تعتبر أن اسم النساء عورة. فهنا ذكر اسم فضة جاء للتحقير والازدراء وتقليل الشأن على الرغم من أن الشخص ابن ملك.

ويكتب:

«رد فنر بحدة ونزق:

– اتركنا من هالعظريط، هذا على مريته ما يمون !

–بس هذا اللي راح يتحكم بروسنا، يا طويل العمر !

– خلنا من هذي السوالف هالحين، بس انت قو أعصابك، وقو قلبك، وما يصير الا الخير.

–أعصابي قوية، طال عمرك، وقلبي صخر جلمود، بس خلي غيري تصير أعصابه قوية ويقوي قلبه» (منيف، ٢٠٠٥م: ج٥: ٢٢٨).

التصغير في اللغة العربية تغيير في بناء الاسم للدلالة على معان شتى منها التدليع والتحقير والتقليل و... وللتصغير ثلاثة أبنية هي:فعيل، وفعيعل وفعيعيل. كلمة "مريته" في هذا المقبوس والتي تعني زوجته هي تصغير امرأته لسبب التحقير لا التدليع! وعبارة "هذا على مريته ما يمون" أي أن الطبيب الشامي الدكتور صبحي المحملجي لا يستطيع أن يتحكم بزوجته وداد أو زوجته لا تمتثل لأوامره ولا تلبي طلباته فهو ضعيف، وكان بامكان الروائي أن يستخدم كلمة "امرأته" لكنه صغّرها لتصوير دونية المرأة في هذه البيئة. علماً أن المحملجي هو جاء طمعاً في الثروة في بلاد الفرصة الناشئة واستطاع بذكائه ودهائه الوصول إلى الملك، وصار شخصاً لا يستغني عنه السلطان خزعل يوماً واحداً بعد أن أصبح كاتم أسراره الصحية ومزوّده الرئيسي بالمقوّيات الجنسية. ويبدو أن فنر يشير الى زوجة المحملجي التي لجأت إلى خلق علاقات غرامية مع

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

أصدقائه ومن أتى بهم لمساعدته في شؤون القصر والأعمال الكثيرة التي يقوم بها بسبب انشغاله بمشاريعه وعدم تفرغه لأسرته فنجد وداد الحايك إمرأة أعمال ومشاريع يبرز دورها من خلال الجنس والجسد، ونلمس ذلك من خلال العبارات التالية: "جسدها متجبر طاغ"، و"جسدها طوفان"، و"جسدها يرهقها"، و"جسدها يحكم تصرفاتها"، و"عشيقة عماد قباني"، و"خائنة لزوجها مع عماد راتب وسمير"، و"كانت تشتهي السلطان خزعل"، و"شديدة التعلق به" و"راغبة فيه"، و"شعرت باللوعة حين علمت أن السلطان يريد ابنتها سلمى".

النتائج

يصل البحث من دراسة تمثلات نسق الفحولة المضمر في رواية مدن الملح لعبدالرحمن منيف" إلى النتائج الآتية:

كتب منيف نص مدن الملح في زمن تاريخي معين مرتبط بسياقات معينة كلها تجلت داخله، فهو يكتب نصوصه من خلال تفاعله مع الوسط المحيط به بطريقة إيجابية أو سلبية ليصبح بذلك النص حادثة ثقافية. والنسق من حيث هو دلالة مضمرة، فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من عبدالرحمن منيف، ولكنها منكتبة ومنغرسة، مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء. وقد تجلى نسق الفحولة في دونية التعامل مع المرأة وفوقية الرجل وتضخيم الأنا، والقوة وإنجاب الذكور ماراً خلف النسق الجمالي والأدبي. ولقد كشف النقد الثقافي بآلياته وخصوصياته الأقنعة التي تتوسل بها الثقافة لتمرير نسق الفحولة الذي يقمع كل أشكال الأنوثة والتأنيث.

المصادر

- ابن دريد، محمد بن حسن (١٩٩٨م). *جمهرة اللُّغة*، بيروت: دار العلم للملايين.
- ابن فارس، أحمد (١٤٠٤هـ.ق). *معجم مقاييس اللغة*، قم: مكتب الاعلام الاسلامي.
- أدونيس، علي أحمد سعيد (١٩٨٦م). *الثابت والمتحول بحث في الاتباع والإبداع عند العرب*، ط ٥، بيروت، دار الفكر.
- أمين، قاسم (٢٠١٢م). *تحرير المرأة*، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- باقادر، أبو بكر أحمد (٢٠٠٤م). *الإسلام والانثروبولوجيا*، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
- براضة، نزهة (٢٠٠٨م). *الأنوثة في فكر ابن عربي*، بيروت: دار الساقي.
- بعلي، حفناوي (٢٠٠٨م). *مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن*، بيروت: الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف.
- بو شعير، الرشيد (٢٠٠٤م). *مساءلة النص الروائي في أعمال عبد الرحمن منيف: دراسة في الرؤى والأشكال والعتبات والأنماط والصور*، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.
- تاتي، يوسف (١٩٠٠م). «العوائد اللبنانية»، *المشرق: مجلة كاثوليكية شرقية تبحث في العلم والأدب والفن*، العدد ٣.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

- الجوزو، مصطفى (٢٠٠٢ م). *نظريات الشعر عند العرب*، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- حجازي، مصطفى (٢٠٠٥م). *التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور*، ط ٩، المركز الثقافي العربي.
- خليل، إبراهيم محمود (٢٠١١م). *النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك*، ط٤، عمان: دار المسيرة للنشر.
- خليل، أحمد خليل (٢٠٠٣م). *ملحق موسوعة السياسة*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.
- دراج، فيصل وآخرون (٢٠٠٩م). *عبدالرحمن منيف٢٠٠٨*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع.
- الرازي، محمد بن عمر (١٩٨١م). *تفسير الفخر الرازي*، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السعداوي، نوال (٢٠٢٢م). *عن المرأة*، لامكان: مؤسسة هنداوي لنشر المعرفة والثقافة.
- الشريف، محمد مهدي (٢٠٠٤م). *معجم مصطلحات علم الشعر العربي*، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ضيف الله، السعيد؛ حماشي، حسينة (٢٠٢١). *تمظهرات الأنساق الثقافيه فى السّرد النّسوى التونسى والمغربى والجزائرى المعاصر؛ (روايات "غربة الياسمين"، و"عام الفيل" و"سأقذف نفسي أمامك" أنموذجا)*، دراسات في السردانية العربية، السنة ٢، العدد٣، صص٢٠٢-٢٣٣.
- عاشور، رضوى (٢٠١٩م). *لكل المقهورين أجنحة: الأستاذة تتكلم*، القاهرة: دار الشروق.
- الغذامي، عبد الله (١٩٩٨م). *ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة*، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الغذامي، عبدالله محمد؛ واصطيف، عبدالنبي (٢٠٠٤م). نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دمشق: دار الفكر.
- الغذامي، عبدالله (٢٠٠٢م). *النقد الثقافي: رؤية جديدة، فصول*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد ٥٩.
- الغذامي، عبدالله (٢٠٠٥م). *النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، ط ٣، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- كويزيل، ايديث (١٩٩٣م). *عصر البنيوية*، ترجمة جابر عصفور، الكويت: دار سعاد الصباح.
- مطلوب، أحمد (١٩٨٩م). *معجم مصطلحات النقد العرب القديم*، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- الهواري، محمد (٢٠١٧م). *أعلام الأدب العربي المعاصر (ترجمة حقيقية لـ ٥٠ شخصية أدبية)*، بيروت: دار الكتب العلمية.

Sources and references

- Adonis (1986 AD), *The Constant and the Transforming: A Study of Follow-up and Creativity among the Arabs*, 5th Edition, Dar Al-Fikr.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

- Al-Ghadami, Abdullah (1998 AD), *The Culture of Illusion: Approaches to Women, the Body, and Language*, Beirut: The Arab Cultural Center.
- Al-Ghadami, Abdullah Muhammad, and Astif, Abd al-Nabi (2004 AD), *cultural criticism or literary criticism*?, Damascus: Dar Al-Fikr.
- Al-Ghadami, Abdullah, (2002AD), Cultural Criticism: A New Vision, *Chapters*, The Egyptian General Book Authority, Egypt, Issue 59.
- Al-Ghadami, Abdullah, (2005 AD), *Cultural Criticism, A Reading in Arab Cultural Formats*, 3rd edition, Casablanca: The Arab Cultural Center.
- Al-Hawari, Muhammad (2017 AD), *The Signs of Contemporary Arabic Literature (A True Translation of 50 Literary Personalities)*, Beirut: Scientific Book House.
- Al-Juzou, Mustafa (2002 AD), *Theories of Poetry among the Arabs*, Beirut: Dar Al-Talee'a for printing and publishing.
- Al-Razi (1981 AD), *Interpretation of Al-Fakhr Al-Razi*, Beirut: Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution.
- Al-Saadawi (2022 AD), *Nawal, on women*, Hindawi Foundation.
- Al-Sharif, Muhammad Mahdi (2004 AD), *Dictionary of Arabic Poetry Terminology*, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami.
- Amin, Qasim (2012 AD), *Women's Liberation*, Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.
- Ashour, Radwa (2019 AD), *All the Oppressed Have Wings*: The Professor Speaks, Dar Al Shorouk.
- Baali, Hafnawi (2008 AD), *An Introduction to the Theory of Comparative Cultural Criticism*, Beirut: The Arab House for Science and Al-Ikhtif Publications.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

- Baqader, Abu Bakr Ahmed (2004 AD), *Islam and Anthropology*, Beirut: Dar Al-Hadi for printing, publishing and distribution.
- Barada, Nuzha (2008AD), *Femininity in the Thought of Ibn Arabi*, Beirut: Dar Al-Saqi.
- Bo Shair, Al-Rasheed (2004 AD), *Questioning the Narrative Text in the Works of Abd al-Rahman Munif*: A Study of Visions, Forms, Thresholds, Patterns, and Images, Ministry of Culture in the Syrian Arab Republic.
- Darrag, Faisal and others (2009 AD), *Abdul Rahman Munif 2008*, Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing, and Casablanca: The Arab Cultural Center for Publishing and Distribution.
- Dhaif Allah, Al-Saeed, and Hamish, Hasina, (2021), Manifestations of Cultural Patterns in Contemporary Tunisian, Moroccan, and Algerian Feminist Narratives; (The novels "Gharbaat al-Yasmine," "Year of the Elephant," and "I Will Throw Myself in Front of You" are examples), Studies in Arabic Narratology , Year 2, Issue 3, pp. 202-233.
- Hijazi, Mustafa (2005 AD), *social backwardness, an introduction to the psychology of the oppressed person*, 9th Edition, the Arab Cultural Center.
- Ibn Duraid (1998 AD), *Jamahrat Al-Lughah*, Beirut: House of Knowledge for Millions.
- Ibn Faris (1404 AH), *Dictionary of Standards of Language*, Qom: Islamic Information Office.
- Kabyle, Hamid (2020 AD), *in issues of ancient Arabic criticism*, Academic Book Center.
- Khalil, Ahmad Khalil (2003), *Supplement to the Encyclopedia of Politics*, Beirut: The Arab Institute for Studies, Publishing and Distribution.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]

- Khalil, Ibrahim Mahmoud (2011AD), *Modern Literary Criticism from Simulation to Deconstruction, 4th Edition*, Amman: Dar Al Masirah Publishing.
- Quesell, Edith (1993 AD), *The Age of Structuralism*, translated by Jaber Asfour, Kuwait: Dar Suad Al-Sabah.
- Tati, Youssef, (1900 AD), "Lebanese Returns", *Al-Mashreq*: An Eastern Catholic magazine looking at science, literature and art, Issue 3.
- Wanted, Ahmed (1989), *A Dictionary of Ancient Arab Criticism Terms*, Baghdad: General Cultural Affairs House.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/sam.4.57]

فصلنامه مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

مردانگی ضمنی در رمان «شهرهای نمک» نوشته عبدالرحمن منیف (بررسی در پرتو نقد فرهنگی)

توفیق رضاپورمحیسنی[۱]، حسین مهتدی[۲*]، ناصر زارع[۳]، سید حیدر فرع شیرازی[۴]

چکیده

رویکرد الگوی فرهنگی پنهان از زمینه های اصلی واساسی نقد فرهنگی و روشی است که بر مبنای تحلیلهای اجتماعی و تاریخی از متون ادبی بنیان نهاده است که به کارکرد الگویی در متون و گفتمان ها می پردازد. نقد فرهنگی زبان بلاغی آکادمیک را که از مشکلات اجتماعی و واقعیت های زندگی اجتماعی دور است دور می زند و وارد الگوهای پنهان می شود. این الگوها ممکن است در ترانه، لباس، داستان و ضرب المثل باشد، همانطور که در شعر، رمان، و هنرهای دیگر وجود دارد. در عمق همه این عناصر یک الگوی فرهنگی وجود دارد که به دلیل سازگاری پنهان با نظام ثابت قدیمی تر در ذهن، توسط شنونده، بیننده یا خواننده دریافت می شود، الگوی پنهان غالبا در آگاهی نویسنده نیست.

این پژوهش سعی دارد با تکیه بر رویکرد تحلیلی- توصیفی و در پرتو نقد فرهنگی که به بررسی الگوهای فرهنگی ضمنی می پردازد، الگوی مردانگی ضمنی را در رمان «شهرهای نمک» نوشتهء عبدالرحمن منیف، مورد پایش و تحلیل قرار دهد، چرا که رمان یکی از مهم ترین متونی است که الگوهای ضمنی را منتقل می کند و به برخی ایده ها و مفاهیم می پردازد و تأملاتی را مطرح می کند .در موضوعات فرعی، بازنمایی‌های مردانگی در رمان مدن الملح به مواردی همچون: قدرت، زایش پسر، حقارت زنان و برتری مردان و خودخواهی یا انبوه کردن نفس پرداخته شد .این مطالعه به مجموعه ای از نتایج رسید که مهمترین آنها: عبدالرحمن منیف آگاهانه ونا آگاهانه، الگوی مردانگی را در پس الگوی زیباشناختی و ادبی قرار داده و کوشید علاوه بر محوریت، حاشیه را نیز در کانون توجه خود قرار دهد.

کلیدواژه ها: نقد فرهنگی، الگوی مردانگی، عبدالرحمن منیف، رمان، شهرهای نمک

تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۲/۱۳ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۵/۳۰

دانشکده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه خوارزمی و انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی
تابستان ۱۴۰۲، دوره ۴، شماره ۹، صص. ۵۷-۷۸

[۱] دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عرب عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر، ایران.tofighalnassari@gmail.com
[۲] نویسنده مسئول، دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر، ایران. mohtadi@pgu.ac.ir
[۳] دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر، ایران.nzare@pgu.ac.ir
[۴] دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه خلیج فارس، بوشهر، ایران.shirazi@pgu.ac.ir

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی
حق مولف© نویسندگان

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-04-26]

[DOI: 10.61186/san.4.57]